"أعمال المقاومة الفرنسية الداخلية (السرية) ونشاطها منذ عام ١٩٤٣ حتى بداية تنفيذ عملية إنزال النورماندي حزيران/ يونيو ١٩٤٤"

أ.م. د. رابحة محمد خضير **الباحث: أيوب عبد المطلب محمد حسن**
Rabeha.m.k@uomsul.edu.iq **www.lahkeem123@gmail.com**
جامعة الموصل كلية الآداب/ قسم التاريخ

المخلص

شهد العالم الحرب العالمية الثانية، التي أستمرت قرابة ست سنوات، استخدمت خلالها أكثر الأسلحة تطوراً وفتكاً، مما أدى إلى احتلال العديد من دول أوروبا، وخاصة فرنسا التي احتلتها ألمانيا في ١٤ حزيران/ يونيو ١٩٤٠، مما أدى إلى ظهور المقاومة الفرنسية الداخلية (السرية) التي كانت تهدف إلى التخلص من الغزو الألماني من خلال عدة نشاطات وأعمال بارزة قامت بها عبر طباعة ونشر صحف المقاومة السرية، واستخدام أساليب حرب العصابات والتخريب والتجسس على يد مقاومة العمال والريف الفرنسي. حتى تخلص الفرنسيون عند دخول قوات الحلفاء في ٢٥ أب/أغسطس ١٩٤٤، من نيِّر الاحتلال الألماني الذي أستمر قرابة أربع سنوات.

الكلمات المفتاحية: المقاومة الفرنسية ، الداخلية السرية، الصحف السرية ، حرب العصابات، انزال النورماندي، مقاومة العمال.

"The Actions and Activities of the Internal (secret) French Resistance from 1943 until the Beginning of the Implementation of the Normandy landings in June" 1944

Prof. assist. Dr. Rabha Mohamed Khudair
Ayoub Abdul Muttalib Mohammed Hassan

Abstract

The world witnessed the Second World War, which lasted nearly six years, during which the most advanced and deadly weapons were used, Which led to the occupation of many European countries, especially France, which was occupied by Germany on June 14, 1940. This led to the emergence of the internal (secret) French resistance. It aimed to get rid of the German invasion through several activities and notable actions it carried out through printing and publishing (secret resistance newspapers), using guerrilla warfare, sabotage and espionage methods, and through resistance (workers and the French countryside). Until the French entered the Allied forces on August 25, 1944, the yoke of the German occupation that lasted nearly four years.

keywords:The Secret Newspapers of the French Resistance. guerrilla. The Normandy Landings. Workers' Resistance.

المقدمة

تعد فترة المقاومة الفرنسية الداخلية (السرية) للاحتلال الألماني والمتعاونين معهم في حكومة فيشي إبان الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩– ١٩٤٥) أحدى أهم الفترات التاريخية المهمة والحيوية في تاريخ فرنسا السياسي والعسكري بشكل خاص وتاريخها المعاصر بشكل عام، لما قدمته من جهوداً في سبيل تخليص بلادهم من نيِّر الاحتلال الالماني.

اتخذت المقاومة الفرنسية الداخلية أشكالاً مختلفة تراوحت ما بين المقاومة السلبية في الامتناع عن تقديم العون والقيام بسلسة أعمال نشطة هدفت إلحاق أكبر الخسائر المادية والبشرية في صفوف قوات الاحتلال الالماني وزعزعة حكومة فيشي المتعاونة معهم، عبر طبع ونشر صحف المقاومة الداخلية السرية، التي مثلت دعاية المقاومة الفرنسية المضادة للدعاية الالمانية، والقيام بتنفيذ عمليات حرب العصابات (حرب الانصار) والتخريب والنسف لكل المنشئات الحيوية التي استخدمتها قوات الاحتلال الالمانية، وعمليات التجسس وجمع المعلومات لتمتد ذروتها بظهور مقاومة العمال والريف الفرنسي.

فمنذ عام ١٩٤٢ أدت الضغوط المتراكمة على اقتصاد الحرب الألماني إلى ازدياد نفقات سلطات الادارة العسكرية الالمانية في فرنسا المحتلة، ففضلاً إلى ما ينطوي عليه الاحتلال الالماني من اهانة للشعب الفرنسي، فقد كانت هناك أعمال السخرة والاستغلال الاقتصادي والاعدامات والاعتقالات التعسفية، وصحيح أن الصراع الألماني – الفرنسي طيلة فترة ما بين الحربين العالميتين أدى بنهاية المطاف إلى سقوط فرنسا في سيطرة الاحتلال الألماني في ١٤ حزيران/يونيو ١٩٤٠ وتغذية مشاعر الاستياء لدى الشعب الفرنسي، فأنه بالمقابل قوض الاعتقاد لدى الفرنسيين بأن ألمانيا (النازية) قوة لا يمكن قهرها وهو الاعتقاد الذي أخذ بتصاعد خلال عام ١٩٤٣ لتتصاعد معها نشاطات المقاومة الفرنسية الداخلية حتى بداية تنفيذ عملية إنزال النورماندي في ٦ حزيران/يونيو ١٩٤٤ والتي اسهمت بشكل كبير في تخلص الشعب الفرنسي من نيِّر الاحتلال الألماني.

هدف البحث الى فهم طبيعية نشاط وأعمال المقاومة الفرنسية السرية. التعرف على اساليب المقاومة الداخلية السرية في عمل كتابة وطبع ونشر الصحف السرية وانواعها. مبررات قيام مقاومة العمال والريف الفرنسي. وكيف اسهمت اعمال المقاومة الداخلية المختلفة في إنجاح العمليات

التمهيدية لعملية انزال النورماندي. وما هي الاضرار التي الحقتها بقوات الاحتلال الالماني وقوات مليشيا حكومة فيشي (الفرنسية) الموالية للاحتلال.

أعتمد الباحث على جملة مصادر مهمة، ولاسيما الوثائق الخاصة بالمقاومة الداخلية الفرنسية السرية فضلاً عن الكتب الأجنبية والمعربة والمذكرات الشخصية والموسوعات والمعاجم المهمة الخاصة بالمقاومة الفرنسية، كما اعتمد الباحث على عدد لا بأس به من الصحف والمصادر العربية التي اسهمت في تسليط الضوء على الموضوع.

قسم البحث إلى مقدمة وأربعة محاور أساسية وضحت نشاط أعمال المقاومة الفرنسية الداخلية (السرية) وخاتمة. تكلمنا في المحور الاول نشاط المقاومة الداخلية (السرية) في مجال الصحافة (السرية). وتطرقنا في المحور الثاني نشاط المقاومة الداخلية (السرية) في مجال حرب العصابات (الانصار). أما المحور الثالث بحثنا فيه نشاط المقاومة الداخلية (السرية) في مجال عمليات التخريب والتجسس. في حين وضحنا في المحور الرابع و(الاخيرة) نشاط ودور مقاومة العمال والريف الفرنسي في المقاومة الداخلية (السرية).

الباحث

المحور الأول: نشاط المقاومة الداخلية (السرية) في مجال الصحافة السرية

تميزت المقاومة الفرنسية الداخلية منذ بداية نشأتها بنشاطها في مجال أصدار سلسلة من الصحف السرية غير المرخصة جسدت بوجودها مقاومة داخلية سرية خفية واسعة الانتشار يصعب على سلطات الاحتلال الألماني ورجال الجستابو والشرطة الفرنسية الفيشية اخمادها[1]، وغالباً ما كان يتم طباعة الصحف السرية للمقاومة في أماكن خاصة متواجدة تحت الارض بعيداً عن انظار وبطش جهاز الجستابو الألماني وكذلك عن انظار جهاز الشرطة الفيشية مما تتيح هذ الامكان حرية كبيرة في طبع هذه الصحف لذلك عرف هذا النوع من المقاومة في ادبيات وتاريخ المقاومة الفرنسية الداخلية السرية بـ(حركات المقاومة تحت الارض Underground Resistance Movements)[2]، مارست صحف المقاومة الفرنسية السرية دوراً حيويا في مجال الدعاية الخفية المضادة ضد الدعاية والاعلام الخاص بالاحتلال الألماني وحكومة فيشي استهدفت من خلاله تحقيق عدة أمور:

١. فضح سياسات الاحتلال الألماني والمتعاونين معهم في حكومة فيشي، فضلاً عما كانت تنشره من انباء وموضوعات متعلقة بنشاط قوات الحلفاء في الحرب من خلال اعتمادها في هذا الجزء من عملها على ما كانت تنشره (إذاعة **BBC)** البريطانية، مع حرصها على اذاعة انباء الهزائم الألمانية بكل وسيلة خلال الحرب.[3]

٢. السخرية من خلال ما تنشره من رسوم كاريكاتورية تهزأ بقيادات الاحتلال الألماني السياسية والعسكرية والمتعاونين معهم في حكومة فيشي.[4]

٣. نشر الاخبار الخاصة بأعمال المقاومة، ولاسيما في مجال التخريب والتدمير والمظاهرات وعمليات الاغتيال التي تصاعدت ذروتها في عام ١٩٤٣ مستهدفة ضباط وجنود الاحتلال الألماني والمتعاونين معه في ارجاء فرنسا المحتلة.[5]

ولا يخفى اهمية تلك النشاطات التي اخذت الصحافة السرية تؤديها في تغذية الرأي العام الفرنسي من خلال رفع معنويات ابناء الشعب الفرنسي وتشجيعهم على الانخراط في صفوف المقاومة الداخلية او على الاقل ابعادهم عن التعاون مع المحتلين من اجل تكوين قوة ورأي عام فرنسي عارم تعُد العدة من خلاله لاستقبال يوم التحرير من نير الاحتلال والمتعاونين معه في حكومة فيشي.

ظهرت العديد من الصحف السرية لعدد من حركات المقاومة الداخلية السرية تمارس نشاطات حيوية في مجال الدعاية الخفية المضادة لمكافحة الدعاية والاعلام الخاص بالمحتلين الألمان الذين كان لهم نشاطهم الصحفي والإذاعي أيضاً كوسيلة لفرض سيادتهم، ولاسيما من خلال اثارة الاشاعات التي وجدوا فيها سلاحاً ماضياً يمكنهم من تثبيط همم الشعب الفرنسي في عدم مقاومتهم[6]، فالصحف السرية للمقاومة التي ظهرت مع البدايات الاولى لانطلاق المقاومة الداخلية خلال الفترة ما بين (١٩٤٠– ١٩٤٢) والتي تأتي في مقدمتها صحيفة (فالمي **(Valmy** التي تعد أول صحيفة سرية للمقاومة الفرنسية الداخلية التي اصدرها الفيلسوف الفرنسي (بول سايمون Paul Simon) لمناهضة سياسات الاحتلال الألماني والمتعاونين معه في حكومة فيشي، اخذت تصدر بشكل كبير فبينما بلغ حجم اصدارها الأول في كانون الاول/ديسمبر ١٩٤٠ قرابة (٥٠ نسخة) في اليوم الواحد لتصل نسخها إلى (٥٠٠٠ نسخة) في ربيع عام ١٩٤٣[7]، وكذلك الحال بالنسبة إلى الصحف السرية الخاصة سواءً لحركات المقاومة الموحدة (M.U.R) في المنطقة الجنوبية (الحرة) التي شملت صحف: (ليبراسيون سودSud Libertion-، كومبا Combat، وفرانس تيرور [8](France Tireure، والتي توسعت في طبع صحفها ليصل عدد نسخها في ايار/مايو ١٩٤٤ إلى اكثر من (٢٠٠,٠٠٠ نسخة) في اليوم الواحد[9]، فضلا عن صحف حركات المقاومة الشمالية التي كان من ابرزها: صحف (صوت فرنسا La voix de la France) و(المقاومة La Résistance) و(الدفاع عن فرنسا Défendre la France)[10]، إذ توسعت نسخها اليومية بشكل كبيراً في بداية عام ١٩٤٤ دعماً لجهود المقاومة الدعائية والاعلامية للمقاومة الداخلية حتى وصلت الى أكثر من (٦٠٠,٠٠٠ نسخة) في اليوم الواحد[11]، لزيادة فاعلية الصحف السرية للمقاومة وكثرة عدد نسخها في عام ١٩٤٣ وعام

١٩٤٤ نظراً لزيادة الدعم الذي اخذت حكومة فرنسا الحرة بإمداده لحركات المقاومة الداخلية المختلفة عبر المجلس الوطني للمقاومة ((C.N.R مما ساهم أيضاً من جهة اخرى، إما بإعادة ظهور صحف سرية سابقة تم اغلاقها من قبل الألمان كما حصل مع (صحيفة الإنسانية Le journal de L'Humanité) التابعة لحركات الجبهة الوطنية (الشيوعية) فعلى الرغم من أن الشرطة السرية الألمانية (الجستابو) تمكنت من كشف اعضاء تلك الصحيفة واعتقالهم واغلاقها عام ١٩٤١ إلا أن الجبهة الوطنية اعادة نشر اعداد تلك الصحيفة في أواسط عام ١٩٤٣، كما ظهرت عدة صحف سرية جديدة اصدرتها مختلف حركات ونقابات واحزاب وفئات المقاومة الداخلية السرية المنضوية في المجلس الوطني منذ ايار/ مايو من العام ذاته كان من أبرزها صحف: (شعب فرنسا Le Peuple de France) و(فرنسا الحرة France Libre) و(منتصف الليل Journal de Minuit)[12]، ناهيك عن صحيفة (الشعلة La Flamme) التي صدر عددها الأول في أب/أغسطس ١٩٤٣[13]، وصحيفة (مرسيليا Marseille La) التي صادر عددها الأول في كانون الثاني/يناير ١٩٤٤[14]، وصحفية (الفجر L'Aurore) التي صدر عددها الأول في نيسان/أبريل ١٩٤٤.[15]

كما أصدر الاطباء الفرنسيين في عام ١٩٤٣ صحيفة عملية طبية سرية اسموها (الكفاح الطبي Le Combat Medical) ناهضت الاحتلال الألماني والمتعاونين معه في حكومة فيشي، هدفوا جمع الحقائق التي ساعدت على معرفة الأثر السيء الذي احدثه الاحتلال الألماني وسياسات حكومة فيشي في صحة الشعب الفرنسي إذ توصلت الصحيفة في عددها الصادر في حزيران ١٩٤٤ إلى كشف نتائج معينة بخصوص هذا الموضوع أهمها: إن عدة أمراض ناجمة عن سوء التغذية مثل (مرض الأنيميا وضعف الأعصاب) صارت تؤذي نسبة كبير من أفراد الشعب الفرنسي حتى بات متوسط الوزن الذي يفقده الشخص العادي إلى أكثر من (٣/كليو غرام) في الشهر الواحد، كما نوهت إلى سياسات حكومة فيشي بموجب قانون سلطة العمل الاجباري (S.T.O) الذي اصدرته في شباط/فبراير ١٩٤٣ ولاسيما من قبل رئيس وزراءها لافال تحت ذريعة توثيق سياسات التعاون مع المانيا (النازية) أمر بخدمة مئات طلاب كليات الطب في الجامعات الفرنسية للعمل في المانيا أو في خدمة قوات الاحتلال الألماني.[16]

أما فيما يخص طريقة توزيع تلك الصحف لتصل إلى أكبر عدد من أفراد الشعب الفرنسي، فقد تولى أعضاء المقاومة العاملين في أصدار تلك الصحف السرية أو أولئك المنظوين في عمل الصحف التابعة لحركات المقاومة المختلفة سواءً اعضائها العسكريين أو السياسيين أو المثقفين أو طلاب المدارس والجامعات والنساء وغيرهم بنشر تلك الصحف وبشكل سري، ولاسيما في اوقات الليل

بعيداً عن أعين وملاحقة جهاز الجستابو الألماني وقوات المليشيا الفيشية في الاماكن والمتنزهات العامة أو لصاقها على جدران الأبنية الحكومية المهمة والمدارس سواءً في العاصمة باريس وبقية المدن الفرنسية الأخرى لذلك عرف هذه النوع من المقاومة ايضاً بـ(مقاومة منتصف الليل Résistance de Minuit)[17]، كما قامت إذاعة (الجزائر العاصمة) التابعة للجنة الوطنية الفرنسية بقيادة ديغول في زيادة زخم المقاومة الدعائية داخل فرنسا من خلال ما كانت تنشره صحف المقاومة السرية لتعمل على إعادة إذاعته من أجل رفع الروح المعنوية لأبناء الشعب الفرنسي في ابداء مقاومته والتمسك بها مع تثبيط عزائم قوات الاحتلال الألماني والفرنسيين المتعاونين الذين كانوا يأخذون حذرهم في تحركاتهم وأعمالهم نظراً للرأي العام الكبير الذي أستمرت صحف المقاومة السرية على اشاعته وابرازه في نفوس الشعب الفرنسي .[18]

ولابد من الإشارة من ان صحف المقاومة الفرنسية لم تكن تكتفتي فيما كانت تنشره من فضح لسياسات الاحتلال والمتعاونين معهم في حكومة فيشي أو نشر أخبار المقاومة فحسب بل تعداه لتمارس صحف المقاومة السرية دوراً مهماً في مناهضة ومقاومة تلك الصحف الفرنسية التي مارست سياسة التعاون مع الاحتلال الألماني والتي سميت بـ(الصحافة المتعاونة Presse Coopérante) من أبرزها: صحيفة (الوقت Le Temps) وصحيفة (الباريسي الصغير Le Petit Parisien) وصحيفة (التوضيح L'Illustration) هدفت إلى بث الاشاعات والترويج لها لدعم سلطة الإدارة العسكرية الألمانية بفرنسا المحتلة وسلطة حكومة فيشي، ناهيك عما كانت تروج له تلك الصحف من أخبار تناهض عمليات المقاومة وانجازاتها وتحث الفرنسيين على ابداء التعاون مع الاحتلال الألماني، كما كانت الصحف المتعاونة الفرنسية تلاقي دعماً مالياً كبيراً من قبل السفارة الألمانية بباريس، وكذلك من قبل رجال الأعمال الالمان، إذ قام رجل الاعمال الألماني المدعو (جيرهارد هيلين Gerhard Heilen) ببناء مطبعة في باريس سيطرة على ما يقرب من طبع نصف الصحف المتعاونة في العاصمة باريس لوحدها، وقد تجاوز اجمالي القراء لهذه الصحف مع بداية فترة الاحتلال الألماني قرابة (ثلاثة ملايين) لكن مع تقادم فترة الاحتلال الألماني أخذ اجمالي القراء للصحف المعاونة يقل بشكل كبير قابله تزايد اعداد القارئين لمختلف صحف المقاومة الداخلية السرية التي بلغت اعداد نسخها حتى عشية انطلاق عمليات تحرير فرنسا في حزيران عام ١٩٤٤ قرابة (٨٠٠,٠٠٠ نسخة) في اليوم الواحد .[19]

المحور الثاني: نشاط المقاومة الداخلية (السرية) في مجال حرب العصابات (الانصار)

اشرنا سابقاً للدور المميز التي أدته المقاومة الفرنسية بنشاط حركاتها الداخلية السرية بشكل عام ولاسيما حركات المقاومة الشيوعية المنضوية في الجبهة الوطنية للمقاومة بشكل خاص في اسلوب حرب العصابات القائم على حرب المفارز الصغيرة[20]، الذي ترجع شراراته الأولى عقب تنفيذ القوات الألمانية عملية بربروسا في عام حزيران/يونيو ١٩٤١ التي استهدفت اجتياح الأراضي الروسية[21]، فعلى أثر ذلك الاجتياح دشن الشيوعيين الفرنسيين عمليات الاغتيالات وحرب العصابات متتالية في المنطقة الشمالية المحتلة التي بدأت منذ ٢١ أب/اغسطس ١٩٤١ واستمرت بين فترة واخرى حتى عام ١٩٤٢ استهدفت اغتيال ضباط وجنود الاحتلال الألماني ولاسيما في مدن نانت وبوردو وباريس وليل وغيرها.[22]

قابلته ردود فعل قاسية من قبل الادارة العسكرية الألمانية بقيادة الجنرال شتولبناجل شمل اصدار قرارات كان من ابرزها قرار اعدام الرهائن الفرنسيين وفق قاعدة ((مقابل كل جندي الماني يقتل سوف يتم إعدام ما بين ٥٠ إلى ١٠٠ من أولئك المعتقلين الفرنسيين المتواجدين في معسكرات الاعتقال الألمانية))[23]، ناهيك عن فرضها غرامات مالية على سكان المناطق التي تجري فيها عمليات الاغتيال ناهزت (١٠/ملايين فرنك فرنسي).[24]

وبعد احتلال المنطقة الجنوبية الحرة من قبل قوات الاحتلال الألمانية على أثر إنزال عملية شمال افريقيا (المشعل) في تشرين الثاني/نوفمبر اخذت عمليات حرب العصابات تتزايد بشكل متصاعد لتبلغ ذروتها عندما توحدت حركات المقاومة الداخلية السرية في المجلس الوطني للمقاومة في أيار/مايو١٩٤٣ وتأسيس الجيش السري للمقاومة (A.S.R) الذي ضمن استمرار تواصل التنسيق والدعم المادي واللوجستي مع أجهزة المقاومة الفرنسية الخارجية، إذ أخذت الأجنحة شبه العسكرية لحركات انصار التحرير والتنظيم المدني والعسكري وحركة تحرير الشمال وحركات المقاومة الشيوعية المنضوية في الجبهة الوطنية بتصعيد حرب العصابات وعمليات التخريب ضد قوات الاحتلال الألمانية وضد قوات المليشيا الفيشية المتعاونة بقيادة دارناند[25]، امتاز أسلوب حرب العصابات (الانصار) للمقاومة الفرنسية الداخلية خلال عام ١٩٤٣ حتى انطلاق عمليات التحرير حزيران/يونيو ١٩٤٤، بالتنظيم والتنسيق في العمل، إذ تألفت من عدة مجموعات صغيرة ضمت (٧ رجال) كل مجموعة يرأسها رئيس له مساعدان هما:

١. مساعد مسؤول عن المعدات، وعن الاستيلاء على السلاح والذخيرة والمتفجرات التي جلها كان يتم الحصول عليها من مقرات الاحتلال الالماني بعد تعرضها لهجمات الانصار الفرنسيين، وعن المعدات

الخاصة بتدمير خطوط السكك الحديدية والقطارات، وسيارات التموين، وخطوط الهاتف، ومولدات الطاقة الكهربائية.

٢. مساعد مسؤول عن الاستخبارات، مهمته تجميع أكبر قدر ممكن من رسوم لخطوط السكك الحديدية ومصانع الكهرباء ومقرات البوليس الالماني (الجستابو) ومقرات قوات المليشيا الفيشية وثكنات جيش الاحتلال الالماني، ولأغراض الأمن تم تقسم كل مجموعة منها الى مجموعات أصغر تضم (٣ رجال) لا يعرف افراد المجموعة الثلاثة اي مجموعة اخرى.[26]

لتشكل تلك المجموعات تكوين هرمي متناسق، يبدأ بمجموعات المنطقة ضمت (٣ مقاتلين وقائد) تحت قيادة (اللجنة التكتيكية الاساسية)، ومجموعة اللجان التكتيكية الاساسية تشكل حرب العصابات في المقاطعات الفرنسية تحت قيادة (اللجنة العسكرية الإقليمية) التي تضم ما بين (٣٠- ٦٠ مقاتل وقائدان)، ومجموعة اللجان العسكرية الإقليمية تشكل حرب العصابات في المدن الفرنسية الكبيرة تضم ما بين (٦٠- ١٥٠ مقاتل وثلاثة قادة) تحت قيادة (اللجنة العسكرية الوطنية).[27]

بدأت عمليات الهجوم على كل جندي ألماني تتاح له فرصة اغتياله، إذ هاجم أعضاء المقاومة الداخلية السرية مقرات ومفارز الجنود الألمان، كما هاجموا المطاعم والمكتبات التي تبيع كتبهم ومحلات البقالة التي تخصصت في بيع الاصناف المستوردة من المانيا النازية أو التي تبيع بانتظام للضباط والجنود الاحتلال الألماني ما يحتاجونه من البضائع وكل عملية كانت يقوم بها رجال المقاومة يعقبه قيام سلطات الاحتلال العسكرية الألمانية بعمليات اعتقالات لكل من يشتبه به وتشن حملة اعدامات بحقهم أو بحق الرهائن الفرنسيين المعتقلين في معسكرات الاعتقال الألمانية[28]، كما اقدمت المقاومة الداخلية في أيلول من عام ١٩٤٣ بالهجوم على قطار ألماني كان يقل جنوداً مجازين عند خروجه من نفق يقع قرب (دوسيز Dosys) على الطريق الرابط بين منطقة بريتاني وصولاً إلى مدينة ليل شمال فرنسا، فهاجمه عناصر المقاومة بالرشاشات الخفيفة من طراز (F.M) والمسدسات والقنابل اليدوية التي سبق وان تلقتها حركات المقاومة الداخلية عبر انزالها بالمظلات من طائرات بريطانية بلغت حجمها قرابة (٢٠ طناً من المعدات والأسلحة)[29]، كما قام عناصر المقاومة في عام ١٩٤٣ بحفر خندق تحت الارض يوصلهم إلى (فندق لوتيشيا Hotel Lucia) المحصن الذي اتخذته الشرطة السرية الألمانية (الجستابو) مقراً لها ثم قاموا بعملية تفجيره مخلفاً مئات القتلى من عناصر الجستابو الألمانية.[30]

وفي مطلع عام ١٩٤٤ قدر عدد رجال المقاومة الفرنسية الداخلية من أولئك الذين يمارسون نشاط حرب العصابات قرابة (٤٠ ألف مقاتل) منتشرين على شكل مجموعات في مختلف المقاطعات

والمدن والارياف الفرنسية أستهدف مشاغلة وإنزال أكبر قدر ممكن من الخسائر بقوات الاحتلال الألمانية وعناصر مليشيا الفيشية، على اعتبار أن تلك المجموعات تعد جزء صغير يتبع الجيش السري للمقاومة (A.S.R) في حين بقيت أعداد كبيرة من ذلك الجيش على أهبة الاستعداد في انتظار ساعة انطلاق عمليات التحرير الكبرى لفرنسا من قبل قوات الحلفاء.[31]

المحور الثالث: نشاط المقاومة الداخلية (السرية) في مجال عمليات التخريب والتجسس

اتبعت المقاومة الداخلية السرية نشاطاً لا يختلف عن نهج حرب العصابات من حيت الاهمية والذي تمثل بعمليات التخريب والنسف، ولاسيما استخدام المواد المتفجرة (الديناميت) في تفجير سكك وعربات القطارات والمخازن والمستودعات وأعمدة خطوط الهاتف واللاسلكي والمواصلات والجسور المهمة والمعامل ومراكز الانتاج التي تزود قوات الاحتلال والمتعاونين معهم بما يحتاجونه في تموين قواتهم في المناطق الشمالية الفرنسية التي كانت استهدفها عمليات الانزال الكبرى لقوات الحلفاء من أجل تحرير فرنسا واوروبا من سيطرة الاحتلال الألماني[32]، وكان نشاط رجال المقاومة الداخلية السرية في هذا الخصوص كبيراً طوال عام ١٩٤٣ وفي الاشهر الخمسة الاولى من عام ١٩٤٤، تمكنت خلالها عناصر المقاومة الداخلية السرية من مهاجمة السكك الحديدية لا أكثر من (٤,٨٠٠ مرة) دمروا خلالها قرابة (١٢٠٠ عربة قطار) مشحونة بالمعدات الحربية والمواد الغذائية والجنود واخرجوا (٣٨٥ قطاراً عن سكته)[33]، كما دمروا في ٣ تموز/يوليو ١٩٤٣ منجماً يستخرج منه معدن الألمونيوم الذي يعد مادة أساسية يدخل في صناعة الطائرات الحربية الألمانية[34]، ناهيك عن تدميرهم (٣ جسور) في الاجزاء الشمالية لفرنسا التي كانت طرق حيوية بالنسبة لحركة قوات الاحتلال الألمانية، وقد ازدادت تلك العمليات ولاسيما بعد الدعم الذي تلقته حركات المقاومة الداخلية من حكومة فرنسا الحرة وقوات الحلفاء البريطانية والامريكية عبر القاء مئات الاطنان من الأسلحة والمعدات والمتفجرات (الديناميت) بالمظلات في أماكن مؤمنة تم الاتفاق عليها مسبقاً مع حركات وشبكات المقاومة الداخلية السرية.[35]

أصبحت حماية خطوط سكك الحديدية مشكلة كبيرة يواجهها سلاح الطيران الحربي الألماني للحد مما كانت تتعرض له من عمليات نسف وتفجير مما دفع الادارة العسكرية الألمانية في فرنسا المحتلة منذ صيف عام ١٩٤٣ على اختيار حراساً من الاهالي الفرنسيين لحماية خطوط السكك الحديدية في المنطقة التي تتكرر فيها عمليات التخريب والنسف من خلال وضعهم في اماكن حساسة فإذا ما صار ووقع تخريب يقتل الحراس الفرنسيين الذي تمت فيه عملية التفجير ضمن القطاع المكلف به، كما

كانت سلطات الاحتلال الالماني تختار الحراس ممن لهم اقارب في المنطقة حتى يتم اعتقال اقاربه في حالة فرار الحارس والتحاقه بعناصر المقاومة المختصين بحرب التخريب والعصابات.[36]

فضلاً عن حرب العصابات والتخريب مارست المقاومة الداخلية دوراً مهما في مجال عمليات التجسس ونقل المعلومات الذي عرف في ادبيات المقاومة الفرنسية بـ(عمليات الذكاء) بلغ ذروته في عام ١٩٤٣ على اثر توحيد جهود حركات المقاومة بمختلف انشطتها وشبكاتها في المجلس الوطني للمقاومة تحت قيادة حكومة فرنسا الحرة مما أدى إلى تنسيق عمل جهاز الاستخبارات الخاص بحكومة فرنسا الحرة بالشبكات التجسسية الخاصة لحركات المقاومة الداخلية التي كانت تتطلب جهداً كبيراً نظراً لأهميتها من قبل عناصر المقاومة الداخلية يتعدى بكثير الجهد المسخر لعمليات حرب العصابات والتخريب، وصف المؤرخ الفرنسي (ميشيل هنري) ذلك الجهد قائلاً: ((إن التنظيم الكامل لشبكات المقاومة الداخلية السرية التي تخص عمليات الذكاء والتجسس تتطلب جهداً انساني ضخم مدرب في اتمامها من حيث أعداد المنظوين أكبر بكثير مما تتطلبه العمليات الكلاسيكية التي تستهدف قتال العدو وتخريب أنشطته))[37]، أن من أهم وأقوى شبكات المقاومة الداخلية السرية الخاصة بعمليات التجسس ونقل المعلومات هي شبكة (الفالانكس Valanks) و(كاليا Galia) التابعة لحركات المقاومة الموحدة (M.U.R) والتي كانت تغطي بعملياتها المنطقة الجنوبية بأكملها، وشبكة (كاهور Cahors) التي عملت في المنطقة الشمالية، ضمت تلك الشبكتين أجهزة للطباعة وورش لتشفير المعلومات ومختبر للتصوير الفوتوغرافي واستوديو رسم لتمثيل المعلومات عن المواقع الحساسة التي تم التجسس عليها لقوات الاحتلال الألماني على شكل رموز مشفرة وخرائط وصور ومخططات ورسومات وغيرها[38]، ومن خلال هاتين الشبكتين بدأ عناصرها بجمع تلك المعلومات والصور والخرائط عن المواقع الحساسة لقوات الاحتلال الألمانية وتحركاته ثم أرسال احداثياتها الأولية عبر أجهزة أرسال لاسلكي على شكل رموز مشفرة لضباط مخابرات ارتباط في جهاز مكتب المعلومات المركزي والعمل (B.C.R.A) الاستخباراتي التابع لحكومة فرنسا الحرة أو لضباط ارتباط تابعين للاستخبارات البريطانية الخاصة بجهاز الهيئة التنفيذية للعمليات الخاصة (S.O.E) بقيادة الرائد بكماستر، إذ وزع جهاز الاستخبارات البريطانية في ربيع عام ١٩٤٣ شبكات استخبارات تابعة له عرفت بـ (اليانس سوزي Alliance Suzy) نسقت اعمالها في الحصول على المعلومات والصور والخرائط من أعضاء المقاومة الداخلية السرية في شبكة الفالانكس وكاهور.[39]

كما نسق ضباط جهاز الاستخبارات التابع للجيش الامريكي، اعمالهم عبر مكتب الخدمات الاستراتيجية (O.S.S) مع اعضاء المقاومة في تلك الشبكات، وقد أقام الأمريكان قاعدة اتصال لدعم

واسناد ضباط مكتب (O.S.S) العاملين داخل فرنسا المحتلة من جنيف بسويسرا وقاعدة أخرى في إسبانيا[40]، وبذلك قدمت شبكات التجسس الخاصة بالمقاومة الداخلية السرية لأجهزة استخبارات حكومة فرنسا الحرة والبريطانية والأمريكية معلومات كاملة عما كان يجري في فرنسا المحتلة وساعدت تلك المعلومات قوات الحلفاء في القصف عبر الطائرات الحربية مصنع (رينو Reno) قرب باريس في نيسان/أبريل ١٩٤٣ عندما بدأ ينتج أسلحة لقوات الاحتلال الألمانية.[41]

فضلاً عما ارسلته شبكات التجسس الخاصة بالمقاومة السرية الداخلية خلال عامين (١٩٤٣– ١٩٤٤) لأجهزة استخبارات الحلفاء من الآلاف الرسائل والبرقيات المشفرة والصور والخرائط والرسوم المهمة عن دفاعات قوات الاحتلال الألمانية، ولاسيما تلك الخرائط الدقيقة التي صورها في نهاية عام ١٩٤٣ العقيد (جيلبرت رينو Gilbert Reno) الذي اتخذ اسماً حركيا عرف بـ(ريمي Remy) والذي يعد من أبرز رجالات المقاومة الداخلية السرية في مجال التجسس ونقل المعلومات في فرنسا المحتلة[42]، عن (الجدار الأطلسي The Atlantic Wall) الذي أعتبر من أهم التحصينات الدفاعية الألمانية (النازية) التي اقدمت قوات الجيش الألماني وبأمر من هتلر في بنائه بين عامي (١٩٤٢– ١٩٤٤) على طول ساحل قارة أوروبا الممتد من الدول الاسكندنافية امتداداً إلى السواحل الفرنسية المطلة على المحيط الاطلسي التي كانت تضم أقوى الدفاعات العسكرية الخاصة بهذا الجدار وصولاً إلى اسبانيا.[43]

وكذلك من العمليات المهمة التي قامت بها شبكات التجسس للمقاومة الداخلية السرية بالتنسيق مع ضباط الاستخبارات العمليات الخاصة البريطانية (S.O.E) استيلائهم على منظمة اجهزة الرادار الألمانية المتطورة من نوع (فريا Freya) و(ويرسبورغ Wersburg) التي كانت تستهدف كشف طائرات الحلفاء المقاتلة فوق القسم الشمالي لفرنسا المحتلة امتداداً إلى داخل الاراضي البلجيكية والألمانية مما خلف خسائر كبيرة في طائرات الحلفاء مما دفع سرية من ضباط الاستخبارات البريطانية بالتنسيق مع شبكات التجسس المقاومة الداخلية السرية من اتمام عملية إنزال في ٢٧ شباط/فبراير ١٩٤٣ فوق مجموعة من الرادارات من نوع فريا وويرسبورغ كانت متمركزة في منطقة (برونيفال Bronefal) الفرنسية وسرعان ما تم انجاز المهمة بنجاح لتتم عملية ارسال هذه العينة من تلك الرادارات إلى بريطانيا بغية دراستها وفهم طريقة عملها من أجل التشويش عليها.[44]

المحور الرابع: نشاط دور مقاومة العمال والريف الفرنسي في المقاومة الداخلية (السرية):

مارس العمال الفرنسيين دوراً بالغ الأهمية في المقاومة الفرنسية الداخلية السرية شمل الإضرابات والمظاهرات والتخريب والتأخير المتعمد في إنجاز عمليات الانتاج والعمل مما أضَر كثيراً

المجهود الحربي الألماني، ونظراً لحاجة الادارة العسكرية للاحتلال الألماني في فرنسا المحتلة على العمال الفرنسيين لديمومة العمل بالمصانع الفرنسية لإنتاج مختلف السلع والبضائع والأسلحة والمعدات الحربية أخذ العمال الفرنسيين من جانبهم يتفننون في إتقان أساليب مهمة خاصة بهم في المصانع التي كانوا يعملون فيها هدف بمجموعها إلى عرقلت وتخريب عمليات الانتاج والعمل.[45]

إذ سرعان ما وجد العمال الفرنسيين مجالاً واسعاً في القيام بما أسموه بـ(حركة الإبطاء المتعمد) في الانتاج والعمل الذي يقصد به الإهمال المقصود في العمل، وكذلك القيام بأعمال (التخريب) الذي يقصد به إتلاف الآلات بدعوى جهل طرق استخدامها وعدم فهم الأوامر والإرشادات والتعليمات وترك المواد والآلات تسقط وتتحطم أو تتلف عن قصد، وهكذا يؤدي إلى تبديد الوقت والجهد ونقص الانتاج إلى أدنى مستوياته، وهذان النوعان يعدان من أبرز أنوع المقاومة الداخلية السرية الخاصة بالعمال الفرنسيين، لا تقل عن أساليب نشر الصحف السرية والتجسس ونقل المعلومات وحرب العصابات خطراً على قوات الاحتلال الألماني والمتعاونين معه في حكومة فيشي، ففي الوقت الذي اشتدت فيه حاجة سلطات الاحتلال الألمانية نظراً لاشتداد المعارك في جبهات الحرب المختلفة التي اخذت فيها منذ عام ١٩٤٣ القوات الألمانية تتكبد الخسائر المادية والبشرية الكبيرة إلى كل ما يتم انتاجه من أغذية وملابس صوفية وقطنية وأسلحة وذخائر وغيرها لدعم تلك القوات في الحفاظ على سيطرتها في الحرب، كان العمال يعمدون إلى تدمير وتخريب وإبطاء كل تلك المواد المصنوعة التي كان الألمان بأمس الحاجة إليها.[46]

ومن أمثلة مقاومة العمال الفرنسيين التي اتقنوها من خلال أسلوب الإبطاء والتخريب ما كشفته الإدارة العسكرية للاحتلال الألماني من أن الطائرات التي تخرجها المصانع الفرنسية لا تصلح للملاحة الجوية، وإن كثيرين من طياريهم يفقدون حياتهم عند محاولة اختبارها قبل إرسالها للميدان، كما كشفوا أن الكثير من البنادق والأسلحة التي تم صناعتها في المصانع الفرنسية تصل في الغالب خالية من الأعتدة الخاصة بها أي من المواد المفرقعة[47]، وان كثيراً من البضائع الغذائية تصل باعتبارها أعتدة أو العكس من خلال وضع بيانات مزيفة على الصناديق، إذ عمّد العمال الفرنسيين وضع بيانات خاطئة أو مزيفة على الصناديق الألمانية المشحونة بالقطار، وعرف هذا النوع من مقاومة العمال الفرنسيين باسم (حرب البيانات الخاطئة Wrong Data War) مما أحدث ارباك وبلبة ملموسة للمجهود الحربي الألماني[48]، كما قام عمال النسيج في فرع نقابة العمال السرية للمقاومة من تخريب صناعة المضلات التي يستخدمها الجيش الألماني في عمليات الإنزال الجوية

خلال معاركه أو تخريب عمل بعض الصناعات الجلدية من خلال استخدام جلود رديئة الخامة في صناعة أحذية للجنود الألمان قابلة للتلف.[49]

وجدت ادارة الاحتلال العسكرية الألمانية الموجودة في مدينة مرسيليا الواقعة في جنوب فرنسا إن جزء كبيراً من الأغذية المعدة لتموين قوات الألمان والفيلق الافريقي الألماني –الذي كان يقاتل في جبهة شمال افريقيا– تتعرض تتلف قبل إنزالها إلى سفن النقل، كما أن شركة (ستروين الفرنسية) انتجت كميات كبيرة من أجزاء الدبابات وجدها الألمان المحتلون غير صالحة للاستخدام مما دفع القوات الألمانية إلى الانتقام من عمال تلك الشركة بأن اختاروا عدداً منهم واعدموهم رمياً بالرصاص أمام زملائهم الباقين وحصل أن إدارة الاحتلال العسكرية للاحتلال الألماني قدروا ما يمكن للمصانع الفرنسية الشمالية أن تنتجه في الشهر الواحد يقدر بـ (٢٠٠ دبابة) و(٥٠٠ طائرة) وعلى هذا الاساس وزع الألمان الخامات اللازمة على المصانع الفرنسية مع ذلك وجدت أدارة الاحتلال العسكرية الألمانية بعد مدة أن متوسط ما يمكن أن تنتجه تلك المصانع في الشهر الواحد لا يتجاوز (٥٠ طائرة) و(٤٠ دبابة).[50]

مارست حركة الإبطاء المتعمد أساليب متعددة عند استخدام العمال الفرنسيين في مشاريع الاحتلال الالماني، كأن يظهروا عدم فهم الاوامر والتعليمات الالمانية لهم، أو اتباع أسلوب المناقشة والجدل الطويل مع رؤساء العمل الالمان سواء في الحقل الزراعي أو المصنع لإضاعة الوقت وتحقيق فكرة الإبطاء المتعمد والتخريب على الرغم من العقوبات القسرية التي فرضتها قوات الاحتلال الالماني من أجل انهاء ذلك النوع من المقاومة.[51]

كما ظهرت مقاومة الريف الفرنسي التي أطلق عليها أسم (المكويس [52](Maquis، إلى جانب مقاومة العمال، إذ أنتشر رجالها في كافة الغابات والجبال والكهوف الجبلية في منطقة بريتاني الواقعة في شمال غرب فرنسا وفي مناطق جنوب شرق فرنسا التابعة لجبال الألب واخذوا يتجمعون فيها ويشكلون المجموعات الأولى التي اعتبرت غاية في الأهمية والتأثير في جسد المقاومة الداخلية السرية، ولاسيما في نطاق حرب العصابات والتخريب وبالتالي مثل تأسيس مقاومة المكويس في صيف عام ١٩٤٣ في الفترة القليلة التي سبقت قيام عمليات الانزال الكبرى من قبل قوات الحلفاء لتحرير فرنسا وأوروبا إلى توسيع رقعة عمل المقاومة الداخلية السرية وانشطتها المختلفة لتشمل فضلاً عن تلك المناطق الحضرية التي مثلت نطاق عمل الحركات والنقابات وأحزاب المقاومة الداخلية للمدة ما بين (١٩٤٠– ١٩٤٢) داخل المدن والمقاطعات، نحو مناطق الريف الفرنسي التي سرعان ما انتشرت فيها مقاومة (المكويس) التي غطت بتواجدها كافة مناطق الريف والغابات والجبال

الفرنسية[53]، إن السبب الأساسي الذي أدى في ظهور مقاومة الريف الفرنسي (المكويس) جاء على أثر إقرار رئيس وزراء حكومة فيشي بيار لافال قانون خدمة العمل الالزامي (O.S.T) في شباط/فبراير ١٩٤٣ الذي أشرنا إليه سابقاً، والذي نص على: ((ترحيل الفرنسيين القادرين على العمل من الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانية عشر إلى خمسين، ومن النساء غير المتزوجات اللاتي تتراوحن أعمارهن بين العشرين إلى خمسة وثلاثين سنه للخدمة الإجبارية في المصانع والمعامل الألمانية))[54]، وكانت مدة العمل محددة بعامين دعماً للصناعات الحربية لألمانيا وترسيخاً لسياسة التعاون معها، فكانت حجة حكومة فيشي في الترويج لذلك القانون واقناع الفرنسيين المشمولين للعمل بموجبه بأنها هدفت منه وكأجراء ضروري إلى اخراج بعضاً من الأسرى الفرنسيين الذي لازالوا معتقلين في معسكرات الاعتقال الألمانية منذ هزيمة الجيش الفرنسي عام ١٩٤٠.[55]

أفرز قانون العمل الاجباري نتائج مهمة في مسيرة عمل المقاومة الفرنسية الداخلية السرية تمثلت بفرار اعداد كبير من الفرنسيين من أولئك الذين شملهم القانون ليختبئوا في مناطق الريف الفرنسي بما شملته من غابات وجبال شاسعة، ولاسيما في جبال الألب الفرنسية المحاذية للحدود الألمانية والإيطالية وبالتالي شكل هؤلاء الفارين النواة الاولى لعدة مجموعات لحركة مقاومة المكويس بعد ما تمكن ضباط الجيش السري للمقاومة (A.S.R) المرتبط بالمجلس الوطني للمقاومة (C.N.R) من الاتصال بتلك المجموعات ليتم تدريبهم على حمل الأسلحة الخفيفة واستخدام مواد التفجير البدائية التي من خلالها راحوا يشنون هجمات كبيرة شملت دخولهم بعمليات حرب العصابات ضد قوات الاحتلال الألماني والمتعاونين معهم في المليشيا الفيشية بقيادة دارناند فضلاً عن قيامهم بعمليات التخريب والنسف التي اخذت بالتزايد طيلة عام ١٩٤٣ والأشهر الخمسة الأولى من عام ١٩٤٤ حتى عشية قيام عمليات الإنزال الكبرى للحلفاء في شمال فرنسا.[56]

وعلى الرغم من ذلك استمرت حكومة فيشي بتطبيق ذلك القانون وتمكنت حتى نهاية شهر ايار/مايو ١٩٤٤ من أرسال قرابة (مليون فرنسي) للعمل الالزامي في المصانع الألمانية، استطاع البعض منهم الفرار من القاطرات المخصصة لنقلهم إلى ألمانيا، متجهين نحو مناطق الريف الفرنسي ليلتحقوا مع جماعة مقاومة المكويس[57]، ولابد من الإشارة من أن الكثيرين مما تم ترحيلهم للعمل في المصانع الألمانية لم يتلقوا أجور عملهم التي سبق وأن وعدتهم بها حكومة فيشي، كما كانوا يعملون بشكل مهين بل فقد البعض منهم حياتهم[58]، اثناء الاشغال لقاء الاشغال المتعبة التي أرهقوا على القيام بها.[59]

كان من أسباب ازياد ظهور مقاومة الريف الفرنسي (المكويس) أيضاً ما طلبه هتلر من حكومة فيشي بترحيل العمال الفرنسيين المشمولين بقرار قانون خدمة العمل الالزامي، إذ قدر عددهم (٢٢٠,٠٠٠ ألف) إلى المانيا قبل نهاية شهر حزيران/يونيو١٩٤٣ على أن تتبعهم مجموعة أخرى عددهم (٥٠٠,٠٠٠ ألف) في اثناء الاشهر التالية، فقابل ذلك سلسلة من المظاهرات والاضرابات من قبل عمال المناجم والعاملين في المصانع الفرنسية، وطلاب الجامعات والمدارس التي خرجت في العاصمة باريس ومدن ليون ونيس وتولوز وغيرها[60]، كما أعتصم اهالي مقاطعة سافوي الواقعة جنوب شرق فرنسا بالمناطق الريفية والجبلية فراراً من عملية التعبئة والترحيل التي شملوا بها وبلغ عدد الذين لجئوا منهم إلى المناطق الريفية والجبال ومناطق الغابات قرابة (٣٠٠٠ آلاف)، كما حدث مثل ذلك تماماً في مقاطعات (البرينيه العليا) و(بريتاني) وبلغ نسبة الهاربين من هاتين المقاطعتين الواقعتين في شمال غرب فرنسا قرابة (٥٧%) من مجموع ساكنيها، وعلى الرغم من ذلك ارغم عدداً كبيراً من المشمولين بذلك القانون بالترحيل للعمل في المانيا فقامت مجموعات كبيرة من المتظاهرين من الأهالي والطلاب بتعطيل سير قطارات الترحيل فكانت فرصة لهروب الكثيرين منهم نحو مناطق الغابات والجبال ليلتحقوا بأقرانهم في مقاومة المكويس.[61]

كما وجه طلاب الجامعات والمدارس في مدينتي باريس وليون خطاباً إلى رئيس حكومة فيشي المارشال بيتان في تموز/يوليو ١٩٤٣ تضمن فيه مشاعر الرفض والأسى تجاه عملية نقل الفرنسيين للعمل الإلزامي في المصانع الألمانية، يتعرض الكثيرين منهم إلى فقدان حياتهم خدمة للمحتلين الألمان كما ضم الخطاب أيضاً الاشادة بالعمال الذين يلتحقون بالمقاومة الريفية (المكويس) جاء فيه: ((امتنعنا منذ أكثر من عامين عن كل مظاهرة من شأنها تعكير صفو الأمن العام وتعرقل أعمال الحكومة ولكن سكوتنا لا يعني إننا قبلنا الحوادث التي وقفنا منها موقف المتفرجين المنكوبين، فقد وقع ترحيل الآلاف العمال الفرنسيين إلى المانيا موقع الاشمئزاز والسخط في نفوسنا...، فقد رأينا فرنسا تزداد خضوعاً للألمان وذهبت حتى التطوع تحت أعلام قاهرها...، أما الان فقد ازفت الساعة التي يجب علينا فيها ان نستأنف كل معارضة ومقاومة ممكنة ضد الألمان...، وإننا فخورين بكافة العمال الذين يفرون من تطبيق قانون العمل الاجباري ليلتحقوا بمقاومة المكويس (الريف الفرنسي) في غابات وجبال فرنسا...، وأن جميع زملائنا سيهربون متى وجدوا الفرصة المواتية بدلاً من أن يساهموا في تعزيز أداة الحرب الألمانية، إن فرنسا ملآى بالغابات والجبال حيث يمكننا المشاركة في المقاومة وانتظار ساعة التي نستطيع فيها الانضمام إلى جيش تحرير الوطن)).[62]

ومنذ أيلول/سبتمبر ١٩٤٣ حتى حزيران ١٩٤٤ – أي حتى عشية قيام الحلفاء بعمليات الانزال الكبرى لتحرير فرنسا وأوروبا للقضاء على الحكم النازي، أخذت مقاومة المكويس تتجمع وتشتد قوتها في جبال وغابات جبال الالب المحاذية للحدود الألمانية والايطالية، ليبلغ عددهم قرابة (٤٠ ألف عنصر)[63]، وهم ينشدون النشيد الخاص بالمقاومة الفرنسية، الذي يعد أكثر الأناشيد حماسية في تاريخ المقاومة الفرنسية إبان فترة الاحتلال الالماني، والذي كتبهُ الشاعر والاديب الفرنسي (موريس درون [64](Maurice Druon، جاء فيه: ((سنسير هنا ونُقتل ونموت، سنكسر قصبان الحديد لنحرر إخواننا، أيها المقاومون أحذروا حشوة الديناميت لديكم؟ أحملوا البنادق والذخيرة والقنابل اليدوية الموجودة تحت القش، أخرجوا من مناجمكم وانزلوا من تلالكم أيها الزملاء، سيعلم العدو الليلة ثمن الدم والدموع، أيها الرجال والعمال والمزارعون أحملوا اسلحتكم...، صديقي هل تسمع صراخ البلاد المقيدة المعًصم؟، هل تسمع صوت الصَرخات المبهمة لواطننا الذي أسر يا صديقي، هل تسمع صوت طيران الغربان السوداء فوق سهولنا يا صديقي...))[65]، فقد دخل رجال حركة المكويس– المتواجدين في مناطق (الآفيرون Alavron) الجبلية المحاذية للحدود الألمانية في معارك ضارية في حرب العصابات والتخريب والنسف مستهدفة مكامن التموين والامداد لإدارة الاحتلال العسكرية الألمانية وقواتها.[66]

كما شهدت مناطق (السافوي العليا Haute Savoie) الجبلية المحاذية للحدود الإيطالية معارك اشتدت يوماً بعد يوم مخلفة أعداد كبيرة من القتلى في صفوف القوات الإيطالية التي كانت تقوم بمهاجمة تلك المنطقة من أجل القضاء على مقاومة المكويس فيها، وفي شباط/فبراير من عام ١٩٤٤ تركز قرابة (٥٠٠ مقاتل) من رجال مقاومة المكويس في هضبة (غلييير Glaire) يقودهم الضابط في الجيش السري للمقاومة الملازم (موروديل Mordel) في اشتباكات ومعارك كر وفر مع قوات الاحتلال الألمانية[67]، ولاسيما بعد ما أعلن رجال مقاومة المكويس فيها بأن هضبة غلييير تعتبر محررة في أول تحدي علني يحصل ضد قوات الاحتلال الألماني في تاريخ المقاومة الداخلية السرية، مما أجبر إدارة الاحتلال العسكرية الألمانية بأرسال حملة من الجيش الاحتلال الألماني شملت: (٣ كتائب مشاة) و(كتيبتي جبل) ومدافع هاون ثقيلة وطائرات (ستوكا) المقاتلة فضلاً عن بضعة آلاف من عناصر مليشيا الفيشية بقيادة دارناند ليبلغ مجموع تلك القوات قرابة (٧٠٠٠ مقاتل) وبعد معارك طاحنة بين الجانبين استمرت ثلاثة عشر يوماً أدى خلالها عناصر مقاومة المكويس بطولة كبيرة أدت إلى سقوط قرابة (٦٠٠ جندي) ألماني في حين سقط قرابة (٢٠٠ مقاتل) من رجال المكويس، في الوقت الذي تمكن البقية من الفرار في أعماق الهضبة .[68]

من جهة أخرى وعلى أثر استسلام إيطاليا لقوات الحلفاء خلال الفترة ما بين (تموز/ليوليو – أب/اغسطس ١٩٤٣) ترك الجنود الإيطاليون كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر لرجال مقاومة المكويس في منطقة سافوي العليا، كما أن عدداً من ضباط والجنود الايطاليين الذين لم يستطيعوا الالتجاء إلى سويسرا على إثر سقوط حكم موسوليني، انضموا في صفوف اعضاء مقاومة الريف الفرنسي (المكويس) ولاسيما في مناطق السافوي العليا والغابات والهضاب التابعة لمدينة تولوز ومرسيليا[69]، في الوقت الذي قامت المقاومة الفرنسية الخارجية وقوات الحلفاء الأمريكية والبريطانية من خلال الاتصالات الاستخباراتية التي كونتها بقيادة زعماء مقاومة الريف الفرنسي (المكويس) بإمدادهم بالشحنات الاسلحة والاعتدة التي كانت تلقى عبر المضلات في المناطق التابعة للمكويس، ولاسيما مناطق السافوي العليا وهضبة غلبير وهضبة الغلبار الواقعتان بالقرب من الحدود الإسبانية، وكانت أولى تلك الشحنات التي تم ألقائها في تلك المناطق تمت في (شباط/فبراير ١٩٤٤ واستمرت حتى شهر ايار/مايو من العام ذاته) ليبلغ مجموع ما تم اسقاطه عبر المضلات قرابة (٤,٨٤٠٠ طن من الأسلحة والأعتدة) لتسليح أعضاء مقاومة الريف الفرنسي (المكويس) ليكونوا على أهبة الاستعداد للمشاركة في عمليات تحرير فرنسا المزمع انطلاقها.[70]

أما في منطقتي (دروم Drom) و(غرينوبل Grenoble) الواقعتين بالقرب من جبال الألب جنوب شرق فرنسا التي من خلالهما يمر خط سكة حديد الكبير ليون – مرسيليا وخط سكة حديد غرينوبل كانت مقاومة المكويس في تلك المناطق بقيادة (العقيد دروو Colonel Drew) يقومون بعملياتهم المستمرة بين الفترة والأخرى حتى أيار/أبريل ١٩٤٤ بنسف العربات وخطوط السكك الحديدية العسكرية للقوات الألمانية الذين كانوا أما يلتحقون للخدمة داخل فرنسا المحتلة أو ينزلون مجازين إلى ألمانيا، لتبلغ خسائر القوات الألمانية خلال تلك المدة إلى قتل قرابة (٨٠٠) جندي ألماني.[71]

الخاتمة

يتضح مما تقدم بأن تلك السلسلة من الأنشطة والأعمال التي راحت تقوم بها المقاومة الداخلية السرية بكافة حركاتها ونقاباتها وأحزابها خلال الفترة الممتدة ما بين عامي (١٩٤٣- ١٩٤٤) ولاسيما بعد دخول مقاومة الريف (المكويس) سببت في خسارة آلاف الجنود من قوات الاحتلال الألمانية، كما سببت في إشاعة جو من الرعب وعدم الأمان في نفوس قوات الاحتلال الألمانية والمتعاونين معهم في المليشيا الفيشية، أخذ ينال من معنوياتهم ويربك خطط قياداتهم العسكرية، لتمارس تلك القوات مزيداً من عمليات القمع والقسوة بحق أعضاء المقاومة الفرنسية الداخلية السرية، قابله ازدياد في عمل أنشطة المقاومة حتى اخذت تتعاظم وتعمل كلاً لا يتجزأ منذ صيف عام ١٩٤٣ في كافة المدن والمقاطعات والريف الفرنسي ضد القوات الاحتلال الألماني والمتعاونين معه في حكومة فيشي بانتظار انطلاق عمليات الإنزال الكبرى من قبل قوات الحلفاء التي تقرر القيام بها في صيف عام ١٩٤٤ لتحرير فرنسا وأروبا من سيطرة الاحتلال الألماني (النازي).

قائمة الهوامش:

)(Pluto Press and Donny Gluxstein, Ideology of the French Internal Resistance, The Digital (Journal Jstor) , March 13, 2019, P89.

(2) Stephen Diack, The Story of Cooperation and Resistance During World War II, Columbia University, (New York, 2013), p116؛ Lynne Taylor, Between Resistance and Collaboration - A Popular Protest in Northern France, General Editor: Joyce Clarke, Macmillan for Border Journalism, (USA, 2000). p71.

(3) محسن محمد ، الشعب والحرب، مطابع الاهرام التجارية، ط١، (الاسكندرية، ١٩٧٢)، ص٣٢٣؛ براين بوند، الحرب والمجتمع في أوربا (١٨٧٠-١٩٧٠)، ترجمة: سمير عبدالرحيم الجلبي، دار المأمون للترجمة والنشر مطابع دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٨)، ص٢٠٤.

(4)محمد فؤاد شكري، ألمانيا النازية، الهنداوي للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٤٧)، ص ص١٠١-١٠٢.

(5)بوند، المصدر السابق، ص ص٢٠٤-٢٠٥.

(6)عبدالله حسين، الصحافة والصحف، تقديم خالد غازي، دار الكتب المصرية، (القاهرة،٢٠١٨)، ص١٤٣ .

(7)باسكاله جوتشيل وإيمانويل لوابيه، تاريخ فرنسا الثقافي، ترجمة: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، ط١، (القاهرة، ٢٠١١)، ص٢٥٦.

(8)مذكرات الجنرال ديغول، الوحدة (١٩٤٢-١٩٤٤)، ترجمة: عبد اللطيف شرارة واحمد عويدات، منشورات عويدات، ط١، (بيروت، ١٩٦٩)، ج٢، ص٢٤٠.

(9) Press and Gluxstein, Op Cit, p89.

(10)مذكرات الجنرال ديغول، الوحدة، ج٢، ص٢٤٠.

(11) جوتشيل ولوابيه، المصدر السابق، ص٢٥٢؛ شكري، المصدر السابق، ص ١٠٧.

)12(Documents de Résistance Interne Français –Secrets (D.R.I.F), Journal La Flamme, No.1, 15 Août 1943.

(13) (D.R.I.F), Journal La Marseille, No. 1, 1 Janvier 1944.

)14((D.R.I.F), Journal L'Aurore, No.1, Avril 1944 ؛

(15) (D.R.I.F), Journal Le Combat Medical, Juin 1944.

"(16)وثائقي شهادات رجال المقاومة الفرنسية الداخلية"،سلسلة حلقات وثائقية عن المقاومة الفرنسية الداخلية (السرية) خلال الحرب العالمية الثانية، (الحلقة ٢): https://www.youtube.com/watch?v=FkzJrNThKOQ2

(17)مذكرات الجنرال ديغول، الوحدة، ج٢، ص٢٤٠.

(18) Julian Jackson, France The Dark Years (1940- 1944), Oxford University Press (USA, 2003),164-165.

(19) مصطفى طلاس، حرب العصابات، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، (بيروت، ١٩٦٩)، ص١٨٧.

(20)وليغ رجيشيفسكي، دروس الحرب العالمية الثانية، دار نشر وكالة نوفوستى السوفيتية، (موسكو،١٩٧٩)،ص٢٥.

(21) مذكرات الجنرال ديغول، نداء الشرف، ج١، ص ص٣٦٢-٣٦٣.

(22) موريس كروزيه، موسوعة تاريخ الحضارات العام: العهد المعاصر، ترجمة: يوسف أسعد داغر وفريد م. داغر، منشورات عويدات، ط٣، (بيروت- باريس، ١٩٩٤)، مج٧، ص٤٠٤

(23) جريدة الاخبار، العدد (٥٠٨٨)، السنة (٣٠)، (فلسطين، ٢٨ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤١).

)24(Henri Michel, Histoire De La Resistance en France, Presses Universities De France, (Paris, Juliet 1987)., p86.

(25)فرناند غرنبير، الماركسية وحرب العصابات: الأنصار الفرنسيون في الحرب العالمية الثانية، ترجمة، ماهر الكيالي وابراهيم العابد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، (بيروت، ١٩٨٦)، ص١١٢.

)26(Julian Turill, Jean Moulin: Shadow Hero, Jean Moulin Museum Press, (Paris, 2013), P22.

(27)محمد، الحرب والشعب، ص٣١٥؛ طلاس، المصدر السابق، ص١٨٩.

(28) أندريه بوفر، الحرب الثورية – الاشكال الجديدة للحرب، ترجمة: اكرم ديري وهيثم الايوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١ (بيروت، ١٩٧٣)، ص٢٠١.

(29) محمد، الشعب والحرب، ص٣١٦-٣١٧.

(30) ج. أوبري ديكنسون، استراتيجية حرب العصابات السوفيتية في الحرب العالمية الثانية، ترجمة: نخبة من العسكريين العرب، المكتبة الاهلية، (بيروت، د.ت) ص٧٠؛ بوفر، المصدر السابق، ص٢٠٥.

)31(Ludivine Brock, Workers and Vichy: French Railways and the Second World War, Cambridge University Press, (Britain, 2016), p148.

)32(Thierry Crowdy, French Resistance Fighter: Secret France Army, Osprey Publishing, (Oxford, 2007). p49.

(33)شكري، المصدر السابق، ص٥٨.

)34 (Crowdy, Op Cit, p49 ؛Press and Gluxstein, Op Cit, p89.

)35(Brock, Op Cit , P146-147.

)36(Michelle, Op Cit, p90.

(37) بوفر، المصدر السابق، ص٢٠٣؛ Michelle, Op Cit, p88-89

(38) بوفر، المصدر السابق، ص٢٠٣.

(39) المصدر نفسه، ص٢٠٣.

(40)محمد، الشعب والحرب، ص٣٢٩.

(41)مجلة تاريخ العرب والعالم، "المقاومة الفرنسية السرية اثناء الاحتلال النازي"، إعداد قسم الدراسات، العدد (٢)، السنة الأولى، (بيروت، كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٨)، ص س٧٨-٧٩.

(42)تم الاشراف المباشر على بناء الجدار الاطلسي إدارياً من قبل الجيش الالماني مع بعض الدعم من قبل القوات البحرية الالمانية، كما شارك في بنائه قرابة مليون عامل فرنسي بعد ما ارسلتهم حكومة فيشي الفرنسية (المتعاونة مع الاحتلال) للعمل في إتمام بناء الجدار، بموجب "قانون خدمة العمل الاجباري" الذي أصدرته في شباط/نوفمبر ١٩٤٣، أشادت الدعاية الالمانية (النازية) بقوة وضخامته وشدة التحصينات المدافع الساحلية العملاقة التي زود بها. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Yu Schofield, **"**Hitler's Atlantic Wall**"**, News Magazine (B.B.C), September 2011, *https://www.bbc.co.uk/news/world-eutope-10632543.*

(43) صلاح الدين الأشرم، الحرب الالكترونية من الحرب العالمية الأولى إلى حرب النجوم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط٢، (دمشق، ١٩٩٣)، ص ص١٠٩-١١٠.

(44) Brock, Op Cit , P146-147.

(45) شكري، المصدر السابق، ص ص٤٢-٤٤.

(46)المصدر نفسه، ص ص٥٢-٥٤.

(47) مجلة تاريخ العرب والعالم، "أوربا تحت الاحتلال"، العدد (٥٣٤)، السنة (٥)، (بيروت، ١٩٨٣)، ص٧٤.

" (48)وثائقي شهادات رجال المقاومة الفرنسية الداخلية"، الحلقة الثانية، المصدر السابق.

(49)شكري، المصدر السابق، ص٥٤

(50)المصدر نفسه، ص٥٤.

(51)المكويس: كلمة فرنسية معناها الدقيق الغابة أو الأرض المرتفعة ترجع جذورها إلى جزيرة كورسيكا الفرنسية، إذ كان الكورسيكيون يصفون كل شخص يغادر المدن للعيش في الريف أو الغابة بسبب ملاحقته من قبل اشخاص آخرين بقصد اعتقاله أو اغتياله بـ(Maquis)، ومن هنا جاءت تسمية المكويس لكل من اختبأ من مجموعات المقاومة الفرنسية المسلحة في تلك الأراضي المرتفعة المغطاة بالأشجار الواقعة جنوب شرق فرنسا، واخذت تحارب الالمان والمتعاونين معه قبل بدء عمليات الإنزال الكبرى للحلفاء لتحرير فرنسا وأوروبا. ينظر: جوتشيل ولواييه، المصدر السابق، ص٢٥٠؛

Historical Dictionary of World War II France - The Occupation, Vichy, and the Resistance, (1938 – 1945), Edit: Bertram M. Gordon, First published, (British Library, 1988),p166 .

(52) نخبة من القادة العسكريين الفرنسيين، ٢١٩٤ يوماً من أيام الحرب العالمية الثانية: يوميات معزز بالصور والوثائق السرية، ترجمة: الدار العربية للموسوعات، ط١، (بيروت، ١٩٩٤)، مج٢، ص٥٥٣.

(53) Christopher Lloyd, Collaboration and Resistance in Occupied France - Representing Treason and Sacrifice, First published by Palgrave Macmillan, (New York, 2003).24-25؛ (D.R.I.F), Journal de Liberation, No.4, Décembre 1941.

(54) محمد، الشعب والحرب، ص٣١٩.

(55)بوفر، المصدر السابق، ص٢٠٩؛ Crowdy, Op Cit, p29

(56) نخبة من القادة العسكريين الفرنسيين، مج٢، المصدر السابق، ص٥٥٣.

(57) أشارت الإحصائيات الخاصة بالمفقودين والمغيبين في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب من أن أكثر من (٢٠٠ ألف فرنسي) مما أرسلوا للعمل في ألمانيا فقدوا ولم يتم العثور عليهم. محمد، الشعب والحرب، ص٣١٩.

(58)Alan Osby, France's Tribulation: Occupation (1940-1944), (New York, 1999),p25.

(59) Jackson, Op Cit, p184.

" (60)وثائقي شهادات رجال المقاومة الفرنسية الداخلية"، سلسلة حلقات وثائقية عن المقاومة الفرنسية الداخلية (السرية) خلال الحرب العالمية الثانية، (الحلقة الثالثة)،على الموقع:
https://www.youtube.com/watch?v=FkzJrNThKOQ3

(61)شكري، المصدر السابق، ص ص٦٨-٦٩.

(62)Nicholas Shakespeare, **"**The Truth Behind French Countryside Resistance**"**, The Daily Telegraph, September 4, 2015 *https://www.telegraph.co.uk/.*

(63)موريس درون (١٩١٨- ٢٠٠٩): مفكر وشاعر وأديب ومؤرخ فرنسي، ولد في باريس، بدأ حياته بكتابة القصة القصيرة وبعض المحاولات الادبية، درس العلوم السياسية، إلا أنه ظل شغوفاً بالأدب والشعر والتاريخ، اثبت بسرعة تميزه بالشعر والكتابة وتأليف الروايات ليحصل على (٤٨ مرة) على (جائزة جونكور) أهم جوائز فرنسا الادبية، انضم للمقاومة الفرنسية عام ١٩٤٣ على أثر التحاقه بالجنرال ديغول في لندن، وكتب فيها نشيد المقاومة الفرنسية الذي أخذت إذاعات (BBC البريطانية، اذاعة فرنسا الحرة، وإذاعة برازافيل) تذيعه حتى تحرير فرنسا من الاحتلال الألماني، ظل يكتب القصص والروايات ويؤرخ للتاريخ الفرنسي حتى وفاته. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Historical Dictionary of World War II France, Op Cit,p197؛ Boss Webber "The Death of Maurice Druon," author of Anthem of French Resistance in the War, at age 90, "New York Times", April15, 2009 *http://www.nytimes.com/2009/04/16/world/europe/16 druon.html.*

(64)سلسلة وثائقية أبكاليبس، (الحلقة السادسة)، الجحيم: الإنزالات الكبيرة في سواحل النورماندي، سلسلة حلقات وثائقية تلفزيونية خاصة بالحرب العالمية الثانية بتقنية الالوان، بثت على (قناة ناشيونال جيوغرافي أبو ظبي)، عام ٢٠٠٩؛ "وفاة الكاتب الفرنسي- مؤلف نشيد المقاومة الفرنسية إبان الحرب" جريدة الرياض، العدد (١٤٩٠٩)، ١٩ نيسان/أبريل ٢٠٠٩ متاح على الوقع الالكتروني الاتي: *www.alriyadh.com// https*

(65)مذكرات الجنرال ديغول، الوحدة، ج٢، ص٣٨٧.

(66) Historical Dictionary of World War II France, Op Cit,p167.

(67)مذكرات الجنرال ديغول، الوحدة، ج٢، ص٣٨٧؛ شكري، المصدر السابق، ص٤٥.

(68)شكري، المصدر السابق، ص٥٦.

(69)نخبة من القادة العسكريين الفرنسيين، مج٢، ص ص٥٥٥-٥٦٤،٥٥٦؛ Brock, Op Cit, P155

(70) مذكرات الجنرال ديغول، الوحدة، ج٢، ص ص٢٨٧-٣٨٨.

(71)المصدر نفسه، ص٣٨٨.